

تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت ام كنت من العالمين ، قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين^(٤) .

(ياايها الانسان ما غرك بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى أى صورة ماشاء ركبك)^(٥) .

(لقد خلقنا الانسان فى احسن تقديم)^(٦) .

وكثير من الآيات التى تدل على تكريم الانسان وتفضيله على سائر الحيوانات وأصناف المخوقات ، اذن يتضح لنا من هذه الآيات انها تدل على بطلان النظرية السابقة حيث انها تحقر الانسان وترجعه الى انه من سلالة القرود وهذا اهدار لكرامته وانقاص من حقه .

٢- سوف نناقش الفقرات الباقية مع الايات والاحاديث النبوية الشريفة وهى (معجزات القرآن - وقدرة الله والحديث النبوى الشريف) .

اولا : ان الذين رفعوا اصواتهم تأييداً لهذه النظرية وارجعوا الانسان الى الاصل الحيوانى من جهة وحصر القوى التى تؤثر فيه بالقوى المادية الممثلة فى البيئة والطبيعة - انهم بذلك اغفلوا الجانب الروحى الممثل فى قدرة الله تعالى فى عملية الخلق والتطور وما داموا قد انكروا قدرة الله سبحانه وتعالى فكل ما قالوه وذكروه باطل بالدليل القطعى لامحالة .

ثانيا : سوف نستعرض الآيات والأحاديث التى تدل على اصل الانسان وكيف تطور وبطلان هذه النظريات ،

١- يقول الحق تبارك وتعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين)^(٧) .

ويقول ايضا (هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم انتم تمرنون)^(٨) ويقول ايضا :

(ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حماء مسنون ، والجان خلقنا من قبل من نار السموم)^(٩) ويقول ايضا : (افرايتم ما تمنون اءنتم تخلقونه ام نحن الخالقون)^(١٠) ويقول ايضا : (أيحسب الإنسان ان يترك سدى ألم يك نطفة من منى معنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ، أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى)^(١١) ويقول ايضا (ألم نخلقكم من ماء مهين - فجعلناه فى قرار مكين - الى قدر معلوم - فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين)^(١٢) .

وكثير من الآيات التى تدل على خلق الانسان ومراحل تطوره وكله من صنع الله الذى احسن كل شىء خلقه .

ثالثا : الاحاديث النبوية الشريفة :

١- عن ابن مسعود رضى الله عنه فى الصحيحين البخارى ومسلم ، حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ان احدكم يجمع فى بطن امه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات - يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد فوالله الذى لا إله غيره إن احدكم ليعمل بعمل أهل الجنة (فيما يبدو للناس) حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار (فيما يبدو للناس) حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها .

وقد اخرج مسلم فى صحيحه عن حذيفة ابن أسيد عن رسول الله ﷺ .

(اذا مر بالنطفة اثنتان واربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال رب ذكر أم انثى فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك - ثم يقول يا رب أجله فيقول ربك ماشاء ويكتب الملك ثم يقول رزقه فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة فلا يزيد على ما أمر .

هذه الآيات الكريمة وهذه الاحاديث الشريفة تدل على مراحل التطور بالنسبة لخلق الانسان وتبين أصله وفصله وغير ذلك كما تدل على أن هناك قدرة عجيبة وراء هذا التطور وهي قدرة العلي الكبير .

وسوف نقف وقفة يسيرة عند قول الله عزوجل (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغفة فخلقنا المضغفة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن المخلقين .

يقول تعالى مخبراً عن ابتداء خلق الانسان من سلالة من طين وهو آدم عليه السلام خلقه الله من صلصال من حماء مسنون والصلصال هو الطين اللازب والحماء المسنون هو التراب لانه هو الأصل كما قال تعالى (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون) .

(ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) الضمير راجع الى جنس الانسان كما قال في آية اخرى (ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) اي ضعيف - (ثم خلقنا النطفة علقة) ثم صارت هذه النطفة بقدرة الخالق علقة على شكل مستطيل تعلق في جدار عنق الرحم ثم تنمو وتتطور الى أن تكون مضغفة (ثم خلقنا العلقة مضغفة) وهي عبارة عن قطعة لحم صغيرة لاشكل فيها ولا تخيط تنتظر الإذن الإلهي بتصويرها وتخليقها (فخلقنا المضغفة عظاماً) شكلناها وصورتها بأن جعل الله لها رأساً ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها (فكسونا العظام لحماً) أي كسونا هذا العظام باللحم حتى يسترها ويشدها ويقويها هذا اللحم .

(ثم انشأناه خلقا آخر) أي نفخنا فيه الروح وصار خلقا آخر ذاسم وبصر وإدراك وحركة واضطراب (فتبارك الله احسن المخلقين) حيث تدخلت قدرة في هذه النطفة البسيطة ورعاها بلطفه وعنايته حتى اجتازت هذه المراحل بنجاح كامل الى ان صارت الانسان السوي الكامل الخلقه وهذه الآية الكريمة تكفي وحدها للرد المقنع على نظرية داروين وحلفائه وبطلان هذه النظرية اصلا حيث انها ترجع أصل

الانسان كما ذكرنا الى انه تطور من سلفه القرد أو أن اصله طحالب وزواحف
واسماك وطيور وحشرات وغير ذلك من الاشياء التي لا أصل لها من الصحة —
(القرآن والعلم الحديث)

١- علم الأجنة الحديث :

خلاصته ان اساس تكوين الجنين هو الحنى ثم النطفة وهى ناتج تلقيح البويضة
بالحيوانات المنوية ثم العلقة، ثم المصغرة بنوعيهما المخلفة وغير المخلفة، ثم يتحدد
فيها بعض الحواس وتتكون العظام وتكسى باللحم والهيكل العام ، ثم يتحدد
جنس الجنين ثم تتكون بقية اجهزته السمعية والبصرية فسبحان الله ظهر العلم
الحديث وتوصل الى ماهدانا الله اليه في كتابه منذ ان نزل القرآن الكريم وهناك
اسرار كثيرة فى كتاب الله لانستطيع ان نعلمها عمليا الا بعد أن يبينها لنا العلم
الحديث الذى اخبر عنه القرآن الكريم فى قوله (ويخاق مالا تعلمون) (١٣) (علم
الانسان ما لم يعلم) (١٤) ،

وخلاصة علم الأجنة هو الذى ذكره الله تفصيلا فى الآية الكريمة فى (سورة
المؤمنين والآيات الأخرى وكذلك اخبر عنه الرسول ﷺ فى احاديث كثيرة
صحيحة .

٢- الحركة اليومية للارض :

اثبت العلماء ان للارض حركة تدور حول نفسها وهذه النظرية قد ذكرها القرآن
الكريم فى آيات كثيرة منها قوله تعالى (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض
فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بأمره) (١٤) فمعنى قوله تعالى يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا ، أى
ينذهب ظلام هذا بضياء هذا وضياء هذا بظلام هذا وكل منهم يطلب الآخر طلبا
سريعا لا يتاخر عنه بل اذا ذهب هذا جاء هذا كل ذلك بقدره العلى الكبير ،

فتأمل معنى جلال هذه الكلمات القرآنية كيف صورت ادق تصوير تلك
الظاهرة الكونية العجيبة وهى ظاهرة زحف الليل اثر النهار حالا محله من طرف

وزحف النهار اثر الليل حالا محله من الطرف الآخر في كل بقعة من كل بقاع الأرض اثناء دورتها اليومية حول نفسها أو حول محورها امام الشمس .

وهناك آية اخرى دلت على هذا الدوران بما يكاد يكون نصا صريحا . وهى قول الله تعالى (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل)^(١٧) .

والتكوير هنا معناه اللف واللى يقال كار العمامة على رأسه وكورها - كما ذكر الزمخشري في تفسيره^(١٧) الا انه التمس لذلك معنى مجازيا . الى أن ظهر العلم الحديث واثبت أن اللف والدوران للأرض هولف حقيقى لامجازى .

٣- الحركة السنوية للأرض حول الشمس :

اثبت العلم أن للأرض حركة سنوية حول الشمس وهى التى تنشأ عنها الفصول الاربعة المعروفة (الشتاء والصيف والربيع والخريف) .

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الظاهرة فى آيات كثيرة منها قوله تعالى (ذلك بأن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وأن الله سميع بصير)^(١٨) .

قال الحافظ ابن كثير فى تفسير هذه الآية (معنى ايلاجه الليل فى النهار والنهار فى الليل ادخاله من هذا فى هذا ومن هذا فى هذا فتارة يطول الليل ويقصر النهار كما فى الشتاء . وتارة يطول النهار ويقصر الليل كما فى الصيف وقوله تعالى (الم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير)^(١٩) .

وقوله تعالى (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير)^(٢٠) .

وكثير من الآيات دلت على هذه النظرية منذ ان نزل القرآن الكريم ولكن ما عرفت حقيقتها الا بعد أن وضحتها لنا العلم الحديث نظريا وعمليا .

وفى الحقيقة اننا لو امعنا النظر فى الآيات الكريمة السابقة والآيات الاخرى

التي وردت في القرآن الكريم وفي كل آية منها يؤكد لنا الله نفس المعنى وذلك فهذا دليل على ان الله سبحانه وتعالى يريد من عباده أن يعرفوا سر هذه الظاهرة الكونية العجيبة التي تحيط بهم والتي يحسونها ولكن لم يعرفوا حقيقتها الا بعد أن تكلم عنها الفلكيون والجغرافيون صراحة .

٤- كروية الارض :

اثبت علماء العصر الحديث أن الارض كروية وليست مبسطة .

وهذه النظرية تحدث عنها القرآن الكريم وفي قوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها)^(٢١) وقوله تعالى (والأرض مددناها والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج)^(٢٢) .

ذكر الشيخ الشعراوي من علماء مصر أن معنى مددناها . أنك اينما ذهبت فوق سطح الكرة الارضية - تراها ممدودة أمامك أي منبسطة فاذا اسرعت الى القطب الجنوبي رأيت الارض منبسطة ولو ذهبت الى القطب الشمالي رأيت الأرض منبسطة واذا ذهبت الى خط الاستواء وجدت الأرض أمامك منبسطة .

وهذا لايمكن ان يحدث الا اذا كانت الارض كروية .

اذن فقول الله سبحانه وتعالى (والارض مددناها) دليل على كروية الارض . ولكن انسانا اخطأ وفسر ذلك اللفظ على انه دليل على أن الأرض مبسطة وخرج من ذلك بأن هذه حقيقة قرآنية - وهي ليست حقيقة ، فاذا ثبت أن الأرض كروية بدأ تعارض وهمي بين حقيقة كونية . . وهنا يبرز دور الجهل في محاولة النيل من كتاب الله^(٢٣) .

فسبحان الله تعالى كل شيء موجود امامنا في كتاب الله العزيز ولكننا عنه غافلون - نسأل الله ان يهدينا الى سواء السبيل .

دكتور ذوالفقار علي ملك

المراجع :

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- صحيح مسلم .
- ٣- صحيح البخارى .
- ٤- تفسير القرآن العظيم لابن كثير .
- ٥- تفسير الزمخشري .
- ٦- معجزة القرآن الكريم للشيخ محمد متولى الشعراوى .
- ٧- التضامن الاسلامى شعبان ١٤٠٠ هـ .
- ٨- المجلة العربية شعبان ١٤٠١ هـ .
- ٩- المجلة العربية ذوالحججة ١٤٠٢ هـ :
- ١٠- الدعوة صفر ١٣٩٩ هـ .

- ١- سورة الحجر آية ٩ .
- ٢- سورة فصلت ٤٢ .
- ٣- سورة الاسراء آية ٧٠ .
- ٤- سورة (ص) ٧١ - ٧٦ .
- ٥- سورة الانقطار آية ٦ - ٨ .
- ٦- سورة التين ٤ .
- ٧- سورة المؤمنون آية ١٢ - ١٤ .
- ٨- سورة الانعام ٢ .
- ٩- سورة الحجر ٢٦ - ٢٧ .
- ١٠- سورة الواقعة ٥٨ - ٤٩ .
- ١١- سورة القيامة ٣٦ - ٤٠ .
- ١٢- سورة المرسلات آية ٢٠ - ٢٤ .

- ١٣- سورة النحل آية ٨ .
- ١٤- سورة العلق ٥ .
- ١٥- سورة الاعراف آية ٥٢ .
- ١٦- سورة الزمر آية (٥) .
- ١٧- انظر تفسير الزمخشري في الاية السابقه .
- ١٨- سورة الحج ٦١ .
- ١٩- سورة لقمان آية ٢٩ - ٢٩ .
- ٢٠- سورة فاطر ١٣ .
- ٢١- سورة النازعات آية ٣ .
- ٢٢- سورة (ق) آية ٧ .
- ٢٣- معجزة القرآن محمد متولى الشعراوى ص ٥٤ ط مصر .

الجنود الفكرية للقصة والنقد في الادب العربي الحديث

*للاستاذ عثمان محمد يوسف اسماعيل

القصة :

لم يكن للفن القصصي مجال في الادب العربي الكلاسيكي ، ولم تدخل القصة التراث الادبي العربي إلا حديثا ، حيث ان البيئة الفنية للقصة العربية اعتمدت كليا على تراث اوروبا القصصي فقد قال عدد من الادباء العرب - ومعظمهم ليست لهم مواهب في فن كتابة القصة - ترجمات للقصص الاوربية المشهورة ، حيث اباحوا لانفسهم ادخال تغييرات كثيرة في بنية القصة الاصلية وخرجوا عن نصها و اضافوا عليها اشياء من عندهم لارضاء الذوق العربي . و ابرز من قام بهذه المحاولات لطفى المنفلوطى الذى ترجم (بول وفرجينى) باسم (الفضيلة) وصاغ قصة ادمون روستان (سيرانودى براجرارك) باللغة العربية واسماها الشاعر ، وكذلك فان حافظ ابراهيم قد ترجم (البؤساء) لفكتور هوجو وخور فيها الكثير .

اما اقدم النماذج للقصة العربية فهى تعود لجبران خليل جبران الذى نشر في نيويورك مجموعة من القصص القصيرة سنة ١٩٠٦ تحت عنوان (عرائس المروج) ، ثم نشر مجموعة اخرى من القصص القصيرة سنة ١٩٠٨ تحت عنوان (الأرواح المتمردة) ولجبران الاسبقية في نشر اول قصة عربية طويلة وهى (الاجنحة المتكسرة) التى ظهرت في نيويورك سنة ١٩١٢ . ولكن قصص جبران هذه لا يمكن اعتبارها باكورة للقصة العربية الحديثة ، وذلك لاسباب فنية .

في سنة ١٩١٢ نشر محمد حسين هيكل قصة (زينب) التي اعتبرت اقدم نموذج عربي للقصة الفنية المحبوكة بشروط اصالة القصة الاوربية .

ولد هيكل سنة ١٨٨٨ ، وبعد أن تخرج من معهد الحقوق بمصر سافر الى فرنسا ليتم تعليمه حيث حصل على الدكتوراه في الاقتصاد السياسي وهناك كتب (زينب) وهي قصة واقعية في تخطيطها العام وحوارها ، وكتب في مقدمتها انها قد (صورها قلم مقيم في باريس مملأ مع حنينه لمصر اعجابا بباريس وبالادب الفرنسي) وكتب عن الدافع لكتابة هذه القصة (لعل الحنين الى وطني وحده هو الذي دفع بي الى كتابة هذه القصة ، ولولا هذا الحنين لما خط قلمي منها حرفا واحدا ولا رأيت هي نور الوجود فقد كنت في باريس طالب علم يوم بدأت اكتبها وكنت ما افتأ اعهد امام نفسي ذكرى ما خلفت في مصر مما تقع عيني هناك على مثله فيعاودني لوطني حنين فيه عذوبة لذاعة لانخاو من حنان ولا تخلو من اوعة^(١)) و (كان من الذين تآثر بهم هيكل في حياته الادبية انا تول فرانس وشكسبير وبرنادر شو وهو وجى دى مومباسان ولامرتين وغيرهم من ادباء المدرسة الطبيعية الفرنسية)^(٢) .

وتدور الاحداث في القصة حول تقاليد الريف المصرى حامد ابن احد اعيان الريف ، يحب ابنة عمه عزيزة ، وتمشيا مع التقاليد لا يصارحها بهذا الحب فتزوج عزيزة من شاب آخر ، ويحاول حامد ان يسلوها بالاقابة من (زينب) وهي فتاة جميلة من اللواتى يعلمان بالزراعة في ممتلكات ابيه ويحكم زينب العقل فتجد ان الفارق الاجتماعى بينها وبين حامد يمنعها من الاستجابة لندآت الحب ثم اتجهت لتحب شابا اخر من وسطها الاجتماعى - ابراهيم - ولم تطلع أهلها على تعلقها به ، وترضى بالزواج شاب آخر لم تكن تحبه ويرحل ابراهيم الى السودان في مهمة عسكرية ويغادر حامد قريته الى القاهرة فتصبح الحياة في نظر زينب بلاقيمة وتقع فريسة لآلام نفسية . . . ثم تمرض وتموت .

والقصة ذات طابع رومانتيكى ونهاية زينب تتمشى مع نهايات قصص (الحب

الفاشل) . . .

عند القصصيين الرومانتيكيين الاوربيين مثل (روميوجوليت) و (أنا كارنينا) وفي القصة تعاطف واضع المرأة المسلمة التي تتمحور بها التقاليد فتسير حياتها على غير رضاها ويبدوان هيكل هذه القصة يقدم رافداً فنياً لدعم (قاسم أمين) ونظريته في تحرير المرأة . المسلمة من ربة التقاليد . . . ولكن بدون خروج عن روح الاسلام ونصوصه اما رائد القصة القصيرة في الادب العربي فهو محمود تيمور الذي ولد سنة ١٨٩٤م وقد بدأ حياته الادبية بكتابة قصص هزيلة في مستواها الفني ولكنه سافر الى فرنسا (واطلع على الادب الفرنسي من قريب واقبل على قراءة الأدب الروسي عند نور جنيف وتشبخوف واضرابهما)^(٣) وقد تأثر كثيراً بحبكة القصة القصيرة عند (جى دى موباسان) وبرع في محاولة خلق التناقضات في افكار أبطال قصصه ليصور النزعات المتضاربة في نفوس البشر .

اما توفيق الحكيم فكان اول كاتب قصة محترف في الادب العربي وقد انعكست في قصصه كل التيارات والدعوات الفكرية المختلفة ، فقد سابر التيار (الفرعوني) الذي ظهر بين المثقفين المصريين مع باكورة القرن العشرين ، كما سابر الدعوة الاسلامية ، والدعوة الاشتراكية . وكتب على منهج (اللامعقول) ومذهب (الوجودية) . وتعتبر قصة (عودة الروح) أول عمل فني ناضج له ، وقد كتبها سنة ١٩٢٧ ، ولم تظهر إلا سنة ١٩٣٣ . لقد كانت عظمة مصر الفرعونية تملأ الاسماع وتبهر العيون في العشرينات من هذا القرن . . . خصوصاً بعد سنة ١٩٢٣ حيث تم اكتشاف مقبرة (توت عنخ آمون) الذي كان له شهرة في انحاء العالم ، مما رفع الروح المعنوية للمثقف المصري ، وبرز (محمود تيمور) منادياً بحماس شديد لخلق ادب مصرى يهدف الى ابراز الشخصية المصرية بالروح المصرية ، ويدعو الى استعمال اللغة المصرية العامية لكتابة الأدب .

وقد رمز توفيق الحكيم بعنوان الرواية الى احياء الامجاد المصرية ، حيث استمد هذا العنوان من الافكار الدينية عند المصريين القدماء الذين كانوا يؤمنون بالبعث بعد الموت وبخلود الروح التي ستعود يوماً للجساد الميتة وقد اقتبس